مجلة المجمع العلمي

في المنهج النقدي
ـ الحلقة الخامسة ـ

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي ـ رئيس دائرتي
علوم اللغة العربية والمصطلحات

الملخص :

هذا بحث تطبيقي لمنهج نقدي آمنت به ، وقد اتخذت في هذه الحلقة قصيدة ((نهج البردة)) لأحمد شوقي ، ونظرت فيها من خلال منهجي النقدي الذي استقر عندي بعد الطواف في المناهج النقدية القديمة والحديثة.

واستطاع هذا البحث الكشف عن الخصائص العامة لقصيدة ((نهج البردة)) ، كما استطاعت الحلقات السابقة الكشف عن خصائص بعض قصائد شوقي.

(١)

مدح الشعراء النبيَّ محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حياته ، وظلوا يمدحونه حتى اليوم ، وظهر لون من المديح هو ((المدائح النبوية)) التي ازدهرت في القرون الأخيرة ولا سيما في بيئات المتصوفة ومجالس الذكر .

ومن اشهر المدائح قصيدة ((البردة)) لمحمد بن سعيد المشهور بالبوصيري (٦٠٨ـ ٦٩٧) ، وهي من البحر البسيط وروي الميم ، ومطلعها :

أَمِنْ تذكرِ جيرانٍ بذي سَلَم مزجْت دمعا جرى من مقلةٍ بدمِ

وأثرت ((البردة)) في اللغة العربية والبيئات الشعبية ، وظهر لون من القصائد أطلق عليه اسم ((البديعيات)).[1]

وكان احمد شوقي (١٨٦٩ ــ ١٩٣٢) ممن تأثروا ببردة البوصيري ، وقال مشيدا بناظمها :

المادحونَ وأربابُ الهوى شِيَعُ لصاحب البردة الفيحاء ذي القَدمِ
اللهُ يشهدُ أنـي لا أُعارضُه مَنْ ذا يُعارض صَوْبَ العارِض العَرِمُ
وإِنما أَنا بعضُ الغابطَين ومَنْ يَغْبِطْ وليكَ لايُذْمَم ولا يُلَم[2]

ونظم سنة ١٣٢٧هـ ــ ١٩٠٩م قصيدة "نهج البردة " وقدمها الى الخديوي عباس[3] بمناسبة قدومه من حج بيت الله .

بنى شوقي قصيدته كالبوصيري على البحر البسيط ، وهو من البحور التي تساعد على مدّ النفس في النظم وتتسع لاستيعاب الفكرة والموضوع . وروي القصيدة الميم المكسورة وحرف الميم من أكثر الحروف دَورانا في لسان العرب ، ولبراعة شوقي وسعة مخزونه اللغوي التزم بالفتحة قبل الروي في مائة وستة عشر بيتا ، وبالكسرة في خمسة وأربعينَ بيتا ، وبالضمة في تسعة وعشرينَ بيتا .[4]

والقصيدة في مائة وتسعين بيتا ، وقد بدأها شوقي بالغزل :[5]

رِيمٌ على القاعِ بين البان والعَلَمِ أَحلَّ سَفْكَ دمي في الأَشهرِ الحُرُمِ

---

[1] ينظر مناهج بلاغية ص ٣٢٤ ، وبحوث بلاغية ص ٢١١ .

[2] ينظر الشوقيات ج١ ص٢٤٩ .

[3] خلعه الانكليز سنة ١٩١٤ ، ونفوا الشاعر الى الأندلس .

[4] ينظر موسيقى الشعر ص٢٦٥ .

[5] تنظر في الشوقيات ج١ ص٢٤٠ ، وقد غنتها ام كلثوم (مقام هزام) وسجلت على اسطوانة سنة ١٩٤٦م .

رمى القضاءُ بعيني جُؤذَرٍ أَسَدا ياساكنَ القاعِ أدركْ ساكنَ الأَجَمِ
لمارنا حدثتني النفسُ قائلةً ياويحَ جنبكَ بالسهم المصيب رُمي

واستمر في الغزل ، وانتقل بعد البيت الرابع والعشرين الى حديث النفس :

يا نفسُ دُنياكِ تُخفي كلَّ مبكيةٍ وإنْ بدا لك منها حُسْنُ مبتسمِ

ويبث الحكمة بعد ذلك شأنه في كثير من مدائحه النبوية وقصائده الوجدانية :

صلاحُ أمرِكَ للأخلاق مَرْجِعه فقوّم النفسَ بالأخلاقِ تَسْتَقِمِ

وهو معنى تردد في شعره ومن ذلك البيت الذي نظمه سنة ١٨٩٥م :

وإنما الأَممُ الأخلاقُ ما بقيتْ فإنْ هُمُ ذهبتْ أخلاقهم ذَهبوا[٦]

وانتقل فجأة الى النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

لزِمْتُ بابَ أمير الأنبياء ومَنْ يُمسكْ بمفتاح باب الله يَغْتَنِمِ
عَلِقتُ من مدحه حبلا أعزُّ به في يوم لا عِزَّ بالأنساب واللحمِ
يُزري قريضي زهيرا حين أَمدحه ولا يُقاس الى جُودي ندى هَرِمِ
محمدٌ صفوةُ الباري ورحمتُهُ وبغيةُ الله من خَلْق ومن نَسَمِ
وصاحبُ الحوض يوم الرسْلُ سائلةٌ متى الورودُ وجبريلُ الأمينُ ظمي
سناؤه وسناه الشمسُ طالعةٌ فالجِرْمُ في فَلَكٍ والضوءُ في عَلَمِ

وتحدث بعد البيت الحادي والستين عن نزول الوحي :

ونُودي اقرأ تعالى الله قائلها لم تتصل قبلُ مَنْ قيلت له بفمِ
هناك أَذَّنَ للرحمن فامتلأتْ أسماعُ مكةَ من قُدْسِيَّةِ النغمِ

وانتقل الى القرآن الكريم :

---

[٦] ينظر الشوقيات المجهولة ج١ ص٧٧ .

جاء النبيونَ بالآياتِ فانصرفتْ وجئتنا بحكيـم غيرِ مُنْصَـــرِمِ
آياته كلما طال المدى جُـــدُدُ يَزينهن جـــلالُ العِتقِ والقـــدمِ
يكاد في لفظــهِ منه مُشرّفـــــهِ يُوصيك بالحق والتقوى وبالرحمِ

وخاطب النبي ــ عليه الصلاة السلام ــ :

يا أفصح الناطقينَ الضادَ قاطبةً حديثُك الشَّهدُ عند الذائقِ الفَهـمِ
حلَيتَ من عَطَل جيدَ البيان به في كلٍّ منتثر في حُسْنِ منتظَـمِ
بكل قولٍ كريـم أنت قائلـــة تحيي القلوبَ وتحيي ميت الهممِ

وماذا حدث بعد مولد النبي الكريم ؟ لقد سارت البشـائر بمولـده ، وتداعت شرفات إيوان كسرى ، وكان مولده إيذانا بالقضاء على الفوضـى ، وعلى الظلم الذي عمَّ البشرية :

أَتيتَ والناسُ فَوضَى لاتمرُّ بهم إلا على صَنَمَ قد هامَ في صَنـمِ
والأرضُ مملوءةٌ جَوْرا مُسَخَّرةٌ لكلِ طاغيـةٍ في الخَلْق محتكـمِ
مُسيطرُ الفرس يبغي في رعيته وقيصرُ الرومِ من كِبْرٍ أَصمُ عمي
يُعذبان عبـــادَ الله في شُبَـــهِ ويذبحان كما ضَحَّيْتَ بالغنـــمِ
والخلْقُ يفتك أقواهم بأضعفهـم كالليث بالبُهْمِ أو كالحوت بالبَلَمِ

وانتقل في البيت الثالث والثمانين الى الإسراء :

أَسرى بك اللهُ ليلا إذ ملائكُـهُ والرسْلُ في المسجد الأقصى على قَدَمِ

وجاب ــ عليه الصلاة السلام ــ السماء على البرق حتى وصل الى العرش :

وقيل كلُّ نبي عند قُدْرته ويا محمدُ هذا العْرشُ فاستَلِمِ

وأَشار شوقي الى ما قَدَّمَ الرسول الكريم للدين والدنيا ، ثم انتقل الى الغار :

سَلْ عُصْبَةَ الشرك حول الغارِ سائحةً لـــولا مطاردةُ المختـــار لم تَسُـــمِ
هل أبصروا الأَثْرَ الوضَّاءَ أم سمعوا هَمْسَ التسابيحِ والقرآنَ من أُمَـــمِ
وهـــل تَمَثَّـــلَ نَسْجُ العنكبوتِ لهـــم كالغابِ والحائماتُ الزُّغْبُ كالرَّخَمِ

لقد عاد المشركون خائبين ، ولم يصلوا الى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصاحبه أبي بكر ــ رضي الله عنه ــ :

لولا يدُ الله بالجارينِ ما سَلِما وعينُه حول ركْن الدين لم يَقُمِ

تواريا بجناح الله واستتــرا ومَنْ يَضُمّ جناحُ الله لا يُضَمِ

وعاد الى مخاطبة النبي ــ عليه الصلاة السلام ــ مشيرا الى أنه سَميُّه :

يا أحمدَ الخير في جاهٍ بتسميتي وكيفَ لا يتسامَى بالرسول سَمي

وهو ما أشار اليه البوصيري في ((البردة)) :

إنْ آتِ ذنبا فما عهــدي بمنتقضٍ من النبي ولا حبلي بمنصــرمِ

فإنّ لــي ذمةً منــه بتسميتـــي محمدا وهو أوفى الخَقِ بالذمِ

وما أشار اليه محمود سامي البارودي في ((كشف الضمة مدح سيد الأمة)) .

أم كيف يخذلني من بَعْدِ تسميتي باسمٍ له في سماءِ العرش محترمِ[٧]

ثم يتحدث عن دعوته ــ عليه الصلاة السلام ــ التي أحيت أجيالا من الرمم ، وعن جهاده في نشر الاسلام ، وعن الاسلام الذي أقام حضارة عمت العالم بفضل أبناء الأمة المخلصين ، وختم القصيدة بالصلاة والسلام على النبي المختار ، وعلى آله النجب الأطهار ، ودعا الله أنْ يلطف بالناس ، وأنْ لا يَزيدَ قومَ نبيه خَسْفا وسَوْما :

فالطُفْ لأجلِ رسولِ العالمينَ بنا ولا تَزِدْ قومَه خَسْفا ولا تَسُــمِ

يارب أحسنتَ بَدْءَ المسلمينَ به فتممِ الفضلَ وامنحْ حُسْنَ مختتمِ

لقد طاف شوقي في كتب السيرة والتاريخ ، واختار منها ما وظفه في بناء قَصيدته ، ولم يرتب الأحداث ترتيبا زمنيا كما فعل البارودي في قصيدته التي

---

[٧] ينظر الموازنة بين الشعراء ص٢٠٥ .

بناها على كتاب ((سيرة ابن هشام)) وساير الأحداث على وفق مـا جـاء في السيرة.[٨]

ولأهمية ((البردة)) و ((نهج البردة)) وازن بينهما الدكتور زكـي مبارك[٩] ، وأبدى بعض الملاحظات ، واستحسن بعض أبيات شوقي وفضّلها على أبيات للبوصيري . ومن جميل ما قاله ، أنَّ قول شوقي :

يا ناعِسَ الطَرْفِ لاذُقْتَ الهوى أبدا أَسْهَرْتَ مُضناكَ في حِفْظِ الهوى فَنَمِ

((أغزل بيت قاله المحدثون)) ، وأُعجب بمقطع الغزل وما تضمن من معانٍ بديعةٍ ، وأنَّ الشاعر بلغ غاية الرفق في قوله :

لما رنـا حدثتني النفسُ قائلـةً ياوَيْحَ جنبكَ بالسَّهم المصيب رُمـي

جَحَدْتُها وكتمتُ السَّهْمَ في كبِدي جُرْحُ الأحبةِ عندي غيـرُ ذي ألـمِ

(٢)

تتجلّى في قصيدة ((نهج البردة)) وحـدة الموضـوع ، وإن انتقـل الشاعر من قضية الى قضية ، وكان موفقاً في المطلع ، إذ تخلص من ربقـة التقليد ، بخلاف البوصيري الذي ذكر أسماءً بعيدةً عن واقع مصر[١٠] ، وكان يحسن التخلص عند انتقاله من مسألة الى أخرى ، وإن انتقده الدكتور زكـي مبارك فقال : ((انتقل من النسيب المونقِ المشرق الى الحديث عما تضـمر الدنيا من المبكيات ، وما تجن من ظلمات الخطوب ، وتدرج من هـذا الـى الحديث عن غفلة النفس وفقرها الى الأخلاق))[١١] ، وعَدَّ هذا اقتضابا .

---

[٨] ينظر الموازنة ص٢٠٣ .

[٩] ينظر الموازنة من ص١٨١ وما بعدها

[١٠] ينظر الموازنة ص١٨٤ .

[١١] الموازنة ص٢١٦ .

ولغة شوقي رقيقة في الغالب ، ولكنَّ قصيدة ((نهج البردة)) حفلت بكثير من الالفاظ التي فسر معناها في الحواشي ، ومن ذلك :

الجُؤذَر: وهو ولد البقرة الوحشية .

العَنَم : شجرة لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخضوبة .

الأطم : القصر ، وكل حصن يُبنى بالحجارة .

القرم : شديد الشهوة الى اللحم .

الوصم : الألم والمرض .

الغسم : الإمساء وظلمة الليل .

السنم : الإنام المملوء .

البَلَم : صغار السمك .

الغلم : الهائج الثائر .

التوم : ــ جمع تومة ــ وهي الحبة من الفضة تعمل على شكل الدرة .

العصم : ــ جمع أعصم ــ الذي فيه العُصْمة ، وهي بياض اليدين ، والعصماء من المعز البيضاء الذراعين ، وسائرها أسود وأحمر .

العمم : التام ، العام من كل أمر .

وهذه الألفاظ التي قد تعد غريبة في هذا الأيام ، غير قلقة ، وكان شوقي قد تأثر ببردة البوصيري ، وذكر كثيرا من الألفاظ التي وردة فيها ، ولا سيما القوافي إذ كان عدد المقاطع المشتركة بين ((البردة)) ونهجها مائة وسبعة عشر ، وليس كلها من الغريب[١٢] وليس غريبا أنْ يحصل التوافق في كثير من القوافي ، لأنَّ الموضوع واحد ، ولأن روي قصيدة البوصيري الميم .

---

[١٢] تنظر الالفاظ المشتركة في خصائص الأسلوب في الشوقيات ص٢٤٩ ، ٥٣٩ .

وتراكيب ((نهج البردة)) جزلة ، وقد ساعد الشاعر على هذه الجزالة البحرُ البسيط الذي يمتاز بقوة تركيبه ، وتفعيلاته الثماني التي تستوعب الألفاظ الجزلة ، والمعاني الواسعة .

والسمة العامة في القصيدة أُسلوب القصّ أو السرد ، ولذلك جاءت معظم الجمل خبرية ، ويتضح ذلك منذ المطلع ، ولوحتها الأولى الغزلية التي كانت وصفا للموائس اللواتي أذقن الشاعر لوعةَ الهوى :

أَفديك ألْفا ولا آلو الخيال فِدًى ... أَغراك بالبخل مَنْ أغراه بالكرمِ

سَرَى فصادَفَ جُرْحاً دامياً فأسا ... ورُبَّ فضلٍ على العشاقِ للحلَمِ

من الموائسِ بانا بالربى وقَنا ... اللاعباتُ برَوحي السافحاتُ دمي

السافراتُ كأمثال البدورِ ضُحًى ... يُغرِنَ شمسَ الضحى بالحلْي والعِصَمِ

القاتلاتُ بأجفانٍ بها سَقَمٌ ... وللمنية أسبابٌ من السَّقَمِ

العاثراتُ بألباب الرجال وما ... أُقِلْنَ من عثرات الذَّلّ في الرَّسَمِ

المضرماتُ خدودا أسفرتْ وجلَتْ ... عن فتنةٍ تُسْلِمُ الأكبادَ للضَّرَمِ

الحاملاتُ لواءَ الحُسنِ مختلفا ... أشكالُه وهو فرْدٌ غيرُ مُنقسمِ

من كلِّ بيضاءَ أوسمراءَ زُيننا ... للعين والحُسنُ في الآرامِ كالعُصُمِ

يُرَعْنَ للبصرِ السامي ومن عَجبٍ ... إذا أُشَرْنَ أَسَرْنَ الليثَ بالعَنَمِ

وَمَنَعْتُ خدي وقسَّمتُ الفؤاد ربى ... يرْتَعن في كُنُسٍ منه وفي أَكَمِ

وكانت معظم الجمل خبرا ابتدائيا ، ومن ذلك الأبيات المذكورة آنفا ، وقول شوقي :

يفنى الزمانُ ويبقى من إساءتها ... جُرْحٌ بآدمَ يبكي منه في الأَدَمِ

وقوله :

هامت على أَثرِ اللذات تطلُبُها ... والنفسُ إن يَدْعُها داعي الصِّبا تهِمِ

وقوله :

إذا خفضتُ جناحَ الذُّلِ أسأله ... عزَّ الشفاعة لم أسألْ سوى أَمَمِ

وقوله :

جُبْتَ السماواتِ أوما فوقهنَّ بهم ... على مُنَوَّرة دُرِّيَّةِ اللَّجُمِ

رَكوبةٍ لك من عِزٍّ ومن شَرَفٍ ... لا في الجياد ولا في الأنيق الرُسُمِ

مشيئة الخالق الباري وصنعتهُ ... وقدرةُ الله فوق الشك والتهمِ

حتى بلغْتَ سماءً لا يُطار لها ... على جناحٍ ولا يُسعى على قَدَمِ

ومن الخبر الطلبي قول الشاعر :

ما كنت أعلم حتى عنَّ مَسْكَنُهُ ... أنَّ المنى والمنايا مَضْرِبُ الخِيَمِ

وقوله :

إنَّ الشمائل إنْ رقَّتْ يكادُ بها ... يُغري الجماد ويُغري كلَّ ذي نَسَمِ

وقوله :

اللهُ يشهدُ أني لا أُعارِضُهُ ... مَنْ ذا يُعارِضُ صَوْبَ العارِضِ العَرِمِ[١٣]

وإنما أنا بعضُ الغابطين وَمَنْ ... يَغْبِطْ وليَّكَ لا يُذْمَمْ ولا يُلَمِ

وقوله :

جَلَّ المسيحُ وذاق الصلْبَ شانِئُه ... إنَّ العقاب بقدْرِ الذنْبِ والجُرُمِ

وقوله :

واتركْ رعمسيسَ إنَّ المُلْكَ مظهرُه ... في نهضةِ العدلِ لا في نهضةِ الهَرَمِ

ولعل قلة الأخبار الطلبية في ((نهج البردة)) أنَّ الشاعر ذكر حقائق لا تحتاج الى تأكيد ؛ لأنها تخص النبي الكريم

---

[١٣] يقصد البويصري صاحب البردة .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي موثقة بكتب السيرة والتأريخ ، ومروية جيلا عن جيل .

وكان للأسلوب الانشائي دورٌ في نسيج القصيدة ، ومن ذلك الاستفهام :

يا بنتَ ذي اللِّبدِ المحميّ جانبُه ألقاكِ في الغاب أم ألقاكِ في الأطُمِ

وقد حذفت همزة الاستفهام ودلت عليها (أم) ، وقد يكون هذا الاستفهام للرجاء أو للحيرة حيث لا يعرف الشاعر أين يلقى حبيبته ، ومن ورائها أب تُخش صولته .

مَنْ أنبتَ الغصْنَ من صَمصامةٍ ذكَرٍ وأخرجَ الريمَ من ضِرغامةٍ تَرِمِ

الاستفهام للتعجب ، إذ كيف يولد لمثل هذا الرجل الشبيه بالسيف في صلابته ومضائه مثل هذه الحبيبة التي هي كالغصن في اللدونة ولطف التثني ، وكيف يكون لمن يشبه الأسد في قوته وسطوته وبأسه مثل هذه التي تشبه الغزال في رقته .

فلا تَسَلْ عن قريشٍ كيف حَيْرتها وكيف نفرتُها في السهل والعَلَمِ

الاستفهام عن تأكيد حيرة قريش ، وهي معروفة عندما نزل الوحي على الرسول الكريم ، وكأنَّ الأداة (كيف) جاءت للكف عن السؤال لوضوح الحيرة وظهورها على وجوه المشركين ، يقال عند ظهور الأمر ووضوحه : ((لا تسألْ)) .

يا جاهلينَ على الهادي ودعوتِه هل تجهلُون مكانَ الصادقِ العَلَمِ

الاستفهام إنكاري ؛ لأنَّ النبي محمدا ـ عليه الصلاة السلام ـ معروف بصدقه وأمانته ، ولا يحتاج الأمر الى سؤال .

الله يشهد أنّي لا أُعارِضُه مَنْ ذا يعارِضُ صَوْبَ العارِضِ العَرِمِ

الاستفهام للتقرير ، وقد يكون انكاريا .

هل أبصروا الأثر الوضّاءَ أم سَمِعوا هَمْسَ التسابيحِ والقــرآنَ من أَمَــمِ
وهــل تمثّلَ نسجُ العنكبوتِ لهــم كالغابِ والحائماتُ الزُّغْبُ كالرخــمِ

الاستفهام للسخرية من الذين تابعوا خروج النبي ــ عليــه الصــلاة السلام ــ عند هجرته الى المدينة المنورة ، وقد استعمل شــوقي (أم) فــي الاستفهام بالأداة (هل) .

يا أحمدَ الخير لي جاءٌ بتسميتي وكيــف لا يتسامَى بالرســولِ سَمي

الاستفهام انكاري .

مَنْ في البرية كالفاروق مَعْدَلــةً وكابنِ عبد العزيــز الخاشعِ الحشــمِ
وكالامام إذا مــا فَضَّ مُزْدَحَمــا بمدمع في مآقــي القــوم مُزْدَحَــمِ
الزاخِرُ العذْبُ في علمٍ وفي أدبٍ والناصرُ النَّدْبُ في حرب وفي سلمِ
أو كابنِ عفانَ والقــرآنُ في يده يحنو عليه كما تحنــو على الفُطُــمِ

الاستفهام للتعظيم ، وإظهار ، لهؤلاء الصحابة ، وما لعمر بن عبــد العزيز من مكانة عظيمة في الأسلام .

واستعمل شوقي أُسلوب الأمر في غيــر معنــاه الحقيقــي ، ومــن ذلك قوله :

فُضّي بتقواكِ فاها كلما ضَحِكَتْ كما يُفَضُّ أذى الرقشــاء بالثَّــرَمِ

الأمر لنصح النفس بالتقوى .

صلاحُ أمرِكَ للأخلاق مَرْجِعُــهُ فقــوّمِ النفْسَ بالأخــلاقِ تَسْتَقِــمِ

الأمر للنصح والارشاد .

سائلِ حِراءَ وروحَ القُدْسِ هل علما مَصونَ سِــرٍّ عن الإدراك منكتــمِ

الأمر للتقرير ؛ لأن حقيقة النبوة بنزول الوحي وبجبريل الأمين لأ بما رآه بحيرا فحسب .

ونُوديَ اقرأ تعالى الله قائلها لم تتصل قَبْلُ مَنْ قَيلتْ له بفمِ

الأمر حقيقي يدل على الالـزام ، وهـو مـا جـاء فـي قـول الله ـ تعالى ـ : ((اقرأ باسم ربك الذي خَلَقَ)) (العلق ١) .

والجهلُ موتٌ فإن أُوتيتَ معجزةً فابعثْ من الجهلِ أو فابعثْ من الرجمِ

الأمر للتخيير ..

سَلْ عُصبَةَ الشرك حول الغار سائحةً لولا مُطاردةُ المختـار لم تَسُـمِ

الأمر سخرية من المشركين الذين لم يستطيعوا أن يكتشفوا الرسول ـ عليه الصلاة السلام ـ وصاحبه أبا بكر ـ عليه الرضوان ـ .

سَلِ المسيحيةَ الغراءَ كم شَرِبَتْ بالصابِ من شَهوات الظالمِ الظَيِمِ

الأمر للتقرير يوضحه قول الشاعر : ((كم شربت .....)) .

دَعْ عنك روما وآثينا وما حَوتـا كلُّ اليواقيت في بغـدادَ والتُّـومِ

وخَلِّ كِسْرى وإيوانا يُـدِلُّ بـه هَوَى على أثر النيـران والأُيـمِ

واترك رعمسيسَ إن المُلْكَ مظهره في نهضةِ العدل لا في نهضة الهَرَمِ

الأمر في هذه الأبيات طلب ترك ما لهؤلاء الأقوام ؛ لأن ما جاء بـه الرسول ـ عليه الصلاة السلام ـ أعظم .

يا ربِّ صَلِّ وسلِّمْ ما أردتَ على نزيلِ عرشك خيـرِ الرسْلِ كلهـمِ

وصَلِّ ربـي على آلٍ له نُخَـبٍ جعلتَ فيهم لـواءَ البيت والحـرمِ

وأَهْدِ خيرَ صـلاةٍ منك أربعـةً في الصَحْبِ صحبتهم مرعيةُ الحرمِ

الأمر للدعاء .

فألطُفْ لأجل رسولِ العالمينَ بنا ولا تَزِدْ قومـه خَسفا ولا تَسُـمِ

يا ربِّ أحسنتَ بَدْءَ المسلمينَ به فتمـمِ الفضلَ وامنـح حُسْنَ مختتمِ

الأمر للتضرع والدعاء .

واستعمل شوقيَ أسلوب النهي في غيـر معنـاه الحقيقـي ، ومـن ذلك قوله :

لا تحفِلي بجناهـــا أو جنايتهـــا الموتُ بالزهْرِ مثلُ الموتِ بالفحـــمِ

النهي تحذير للنفس .

فلا تَسَلْ عن قريشٍ كيف حيرتُها وكيف نُفْرتُهـــا في السَّهْل والعَلَـــمِ

النهي عن سؤال قريش حين حارت ونفرت من الدعوة الاســـلامية ، وهذا يدل على عظمة ما نزل من السماء على النبي الأمين ـــ عليه أفضـــل الصلاة والسلام ـــ .

لا تعذِلوه إذا طافَ الذهولُ به ماتَ الحبيبُ فَضَلَّ الصَّبُّ عن رَغَمِ

النهي عن لوم عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ الذي هاله مـــا سمع من موت النبي ـــ عليه الصلاة السلام ـــ وإسراعه الى سيفه ، وقد توعد من يقول إن رسول الله مات .

فالطُفْ لأجلِ رسولِ العالمينَ بنا ولا تَـــزِدْ قومَـــه خَسْفا ولا تَسُـــمِ

النهي للتضرع والدعاء .

وفاق أسلوب النداء الأساليَب الانشائية الأخرى ورودا ، ومن ذلك :

رمى القضاءُ بعيني جؤذَرٍ أسَدا يا ساكنَ القاعِ أدركْ ساكنَ الأجـــمِ

النداء للاستغاثة .

لما رنـــا حدثتني النفسُ قائلـــةً يا وَيْحَ جنبكَ بالسهم المصيب رُمي

استعمال (ويحَ) يكون لمن وقع في الشدة ، والمكروه ، وكأن النداء هنا جاء للاستنجاد .

يا لائمي في هواه والهوى قَدَرٌ لو شَفَّكَ الوجدُ لم تَعذِل ولم تلمِ

النداء للاستكثار .

يا ناعسَ الطرفِ لا ذُقْتَ الهوى أبدا أسْهرتَ مُضناكَ في حِفْظِ الهوى فَنَمِ

النداء للدعاء .

يا بنتَ ذي اللِّبـــدِ المحميّ جانِبُـــهُ أَلقاكِ في الغاب أم أَلقاكِ في الأطُمِ

النداء للتعظيم ، أي تعظيم أبي الحبيبة الذي شبهه شوقي بالأسد .

يا نفْسُ دنياكِ تُخفي كلَّ مُبكيةٍ وإنْ بدا لكِ منها حُسْنُ مبتسمِ

النداء للعظة والتحذير .

يا ويلتاه لنفسي راعَها وَدَهـــا مسودّةُ الصُحْفِ في مبيضةِ اللممِ[١٤]

النداء للتحسر .

يا جاهلينَ على الهادي ودعوتهِ هل تجهلُون مكانَ الصادقِ العلَـمِ

النداء للاستنكار .

يا أفصحَ الناطقينَ الضادَ قاطبةً حديثُك الشهد عند الذائق الفَهِـــمِ

النداء للتقرير ؛ لأن النبي ــ عليه الصلاة السلام ــ كان أفصح العرب ، وهو القائل : ((أنا أفصح العرب بَيْدَ أني من قريش)) .

وقيل كلُّ نبي عند رتبته ويا محمدُ هذا العرشُ فاستلمِ

النداء للتعظيم ، لأن الله فضل محمدا على الأنبياء ، ولذلك قال له : استلم العرش ، أي قبله ، كما يستلم المعَمرون والحجاج الحجر الأسود في بيت الله .

خططتَ للدين والدنيا علومَهما يا قارئَ اللوْحِ بل يا لامسَ القلَمِ

النداء هنا للتقدير ، لأن النبي ــ عليه الصلاة السلام ــ بحثَّ علوم الدين والدنيا بين الناس ، وهذا ما أطلعه الله عليه .

يا أحمدَ الخير لي جاهٌ بتسميتي وكيفَ لا يَتسامَى بالرسولِ سَمي

النداء للرجاء والالتماس .

يا ربّ صلِّ وسلّم ما أردتَ على نزيلِ عرشك خيرِ الرسْل كلهـمِ

---

[١٤] كأن الشاعر يشير الى قول أبي تمام :

بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

وصلِّ ربـــي على آلٍ لـــه نُخَبٍ جعلتَ فيهم لـــواءَ البيت والحـــرمِ

النداء للدعاء ، وقد حذفت أداة النداء في البيت الثاني .

يا ربِّ هبَّتْ شعوبٌ من منيتهـــا واستيقظت أُمـــمٌ من رَقْدة العَـــدَمِ

النداء اعتراف الشاعر باستيقاظ الأمم ، وليس إعلاما لله بذلك ، وهو ـــ سبحانه ـــ العليم .

يا ربِّ أَحْسنتَ بَدْءَ المسلمينَ به فتمِ الفضلَ وامنح حُسْنَ مختتَـــمِ

النداء للدعاء والرجاء .

وفي القصيدة بعض التقديم والتأخير ، ومن ذلك ما جاء في المطلع :

ريمٌ على القاع بين البان والعلمِ أَحلَّ سَفْكَ دمي في الأشـــهر الحُـــرُمِ

رتبة الكلام ((ريم أحل سفك دمي)) ولكـــن الشـــاعر قـــدم الجـــار والمجرور والظرف على الفعل (أَحلَّ) ففصل بين (ريم) و (أحل) ، وقد يريد الشاعر أَنَّ يحدد المكان ، إن لم يدفعه للوزن الى ذلك ، وهو دفع أعطى البيت ايقاعا جميلا . ولاهتمام الشاعر بمن يتمنه قَدَّم صفاتهن فقال فـــي أول الأبيات : السافرات ، القاتلات ، العاثرات ، المضرمات ، الحاملات .[١٥]

وقدم الظرف في قوله :

بيني وبينكِ من سُحْرِ القنا حُجُبٌ ومثْلُهـــا عِفَّـــةٌ عُذريـــةُ العِصَـــمِ

ليؤكد عضته ، لأَن الوصول الى الحبيبة صـــعب ، حيـــث الرمـــاح المشرعات تخيف وترهب . وقدم (محبة) على الفعل (أُشرب) :

مَحبةٌ لرســـولِ اللهِ أُشْرِبَهـــا فعائدُ الدير والرهبان في القِمَـــمِ

وقدَّم (هناك) :

هناك أَذَّنَ للرحمنِ فامتـــلأَتْ أَسماعُ مكـــةَ من قُدْسيةِ النَّغَـــمِ

---

[١٥] تقدمت الأبيات عند الاشارة الى الخبر الابتدائي .

وقدم (محبة) :

محبـــة الله ألقاهـــا وهيبتُـــــهُ على ابنِ آمنةٍ في كل مُصْطدمِ

وقدم (بالأمس) :

بالأمس مالت عروشٌ واعتلَتْ سُرُرُ لولا القَذائفُ لم تُثلَم ولم تُصَـمِ

لأن التأكيد للزمن .

وقدم (بالحزم والعزم) :

بالحزمِ والعزمِ حاط الدينَ في محنٍ أَضلَّت الحِلْمَ من كَهْلٍ ومُحتلـــمِ

واستعمل شوقي أُسلوب الشرط ، وكان كثيرا ما يأتي جواب الشـــرط في آخر البيت ، ومن ذلك قوله :

كم ضللتك ومَنْ تَحَجبْ بصيرتَهُ إنْ يلْقَ صابا يَـرِدْ أَو علْقما يَسُمِ

وقوله :

هامتْ على أثرِ اللذات تطلبهـــا والنفسَ إنْ يَدْعُها داعي الصِّبا تَهِمِ

وقوله :

وإنْ تقدم ذو تقوى بصالحـــةٍ قَدَّمْتُ بين يديـــه عَبْـرةَ النـدمِ

لزِمْتُ بابَ أمير الأنبياء ومـــَنْ يُمْسِكْ بمفتـــاح باب الله يغتنـــمِ

وقوله :

يُسامر الوحيَ فيها قبل مَهْبِطِهِ ومَنْ يُبشَّرْ بسيمـــا الخير يتســـمِ

وقوله :

صلَّى وراءَكَ منهم كلُّ ذي خطرٍ ومَنْ يَفُـــز بحبيبِ الله يأْتَمـــــمِ

وقوله :

تواريا بجنـــاحِ الله واستتـــرا ومَنْ يَضُمَّ جنـــاحُ الله لا يُضَـــمِ

وقوله :

وإنما أنا بعْضُ الغابطينَ ومَنْ يَغْبِـطْ وليَّـكَ لا يُذْمَـم ولا يُلَـمِ

وقوله :

والشرُّ إنْ تلْقَه بالخيرِ ضِقْتَ به ذَرْعـا وإنْ تلْقَـه بالشـر ينحسـمِ

وقوله :

غراءُ حامتْ عليها أنفسٌ ونُهى ومَنْ يجِدْ سلْسَلا من حِكمـةٍ يَحُـمِ

وقوله :

لا يهدِمُ الدهرُ ركنا شاد عدلُهمُ وحائطُ البغـي إنْ تلْمسه ينهـدمِ

واستعمل (لولا) ، ومن ذلك قوله :

سَلْ عُصبةَ الشرك حول الغار سائمةً لولا مطاردةُ المختـار لم تَسُـمِ

وقوله :

لولا يدُ اللهِ بالجارين ما سَلِمـا وعينُه حَوْلَ ركنِ الدين لم يَقَـمِ

وقوله :

لولا حُماةٌ لما هَبُّوا لنصرتهـا بالسيفِ ما انتفعتْ بالرفْقِ والرُّحُمِ

لولا مكان لعيسى عندُ مرسلِـهِ وحُرْمةٌ وَجَبَتْ للروح في القِـدَمِ

وكان الجواب في البيت

لسُمِّر البَدَنُ الطهرُ الشريفُ على لو حينِ لم يخْشَ مؤذيه ولم يَجِـمِ

وقوله :

لولاه لم تَرَ للدولاتِ في زمـنٍ ما طالَ من عَمَدٍ أو قَرَّ من دَعَـمِ

وقوله :

بالأمسِ مالَتْ عروشٌ واعتلت سُرُرٌ لولا القذائفُ لم تثلم ولم تُصَـمِ

وقوله :

لولا مواهبُ في بعض الأنـام لمـا تفاوتَ الناسُ في الأقدارِ والقيـمِ

واستعمل (لو) في قوله :

لو صادفَ الدهر يبغي نُقلةً فَرمَـى بعزمه في رحال الدهر لم يـَرِمِ

وكان شوقي يُعنى بالربط بين الجمل ، وبين أشطر الأبيات ؛ لأنها إما تكملة للمعنى ، أو جواب للشرط . وهذا الربط من صفة القص أو السرد الذي بنى شوقي قصيدته عليه ، فهو يحكي أحداثا مترابطة ، ويأتي بمعانٍ متوافقة وهذا يجعل العبارات والأشطر متصلة ، ولذلك كان الفصل قليلا بين أجزاء القصيدة ، ولم يأتِ به إلا عند كمال الآنفصال ، وقد يستغني عن الجملة المفصولة عما قبلها ، ولكن الشاعر يأتي به كأنه إيضاح أو حكمة من الحكم . ومن الفصل قوله :

رمى القضاءُ بعيني جُؤذَر أَسَدا يا ساكنَ القاعِ أَدْرِكْ ساكنَ الأَجَمِ

أذ فصل بين الشطرين ، وإن جاء الشطر الثاني استغاثة .

وقوله :

جحدتُها وكتمتُ السهمَ في كبِدي جُرْحُ الأحبة عندي غيرُ ذي أَلَمِ

فالشطر الأول تام المعنى ، والشطر الثاني استئناف .

وقوله :

لم أغْشَ مغناكِ إلا في غضون كَرى مَغْناكَ أَبعدُ للمشتاق من إرَمِ

وقوله :

يسامرَ الوحيَ فيها قبل مَهْبِطِهِ ومَنْ يُبشَّرْ بسيما الخير يتَّسِمِ

وكأنه قال : ((مَنْ يبشر ....)) وربما ألجأه الوزن الى ذكر الواو .

ومثله قوله :

صلى وراءك منهم كلُّ ذي خَطَرٍ ومَنْ يَفُزْ بحبيب الله يأتمِمِ

وقوله :

جلّ المسيحُ وذاق الصَلْبَ شانِئُه إن العقابَ بقدْرِ الذنب و الُجُرمِ

وقولهُ :

دَعْ عنك روما وأثينا وماحوتا كلُّ اليواقيت في بغدادَ والتَوَمِ

وقولهُ :

لاتعذلوه اذا طاف الذهــول بــه ماتَ الحبيبُ فَضَلَّ الصَّبُّ عن رَغَمِ

ولا يعني ان المفصول ولا معنى له ، وانما يقصد بذلك مجيئه غيــر مرتبط بأداة ربط ، ولكل الأبيات المذكوره أنفا معانٍ ايضاحية ، أو حكمية ، وهو ما دأب عليه شوقي في كثير من شعره .

(٣)

وفي قصيدة ((نهج البرده)) ألوان من التصوير ، ومنها التشبيه الذي يكثر منه شوقي في قصائده ،وقد جاء بأداة وبغير أداة .

ومن التشبيه بالكاف قوله :

السافراتُ كأمثال البدور ضُحًى يُغِرْنَ شمسَ الضحى بالحلْي والعِصَمِ

وجه الشبه هو الاشراق ، والتشبيه مرسل مجمل .

وقوله :

من كلّ بيضاءَ أو سمراءَ زَيَّننا للعيــنِ والحسْنُ في الأرام كالعُصُــمِ

وجه الشبه الجمال ، والتشبيه مرسل مجمل .

وقوله :

فُضي بتقواكِ فاها كلما ضَحِكَتْ كمــا يُفضّ أذى الرقشــاء بالثّــرَمِ

وجه الشبه السم ، والتشبيه مرسل مجمل .

وقوله :

والخلْقُ يفتك أقواهم بأضعفهــم كالليثِ بالبُهْمِ أو كالحــوتِ بالبَلَــمِ

وجها الشبه محذوفان وهما القوة والفتك ، والتشبيه مرسل مجمل .

وقوله :

لما خطرتَ به التفوا لسيدهــم كالشهب بالبدرِ أو كالجنــد بالعَلَــمِ

وجها الشبه محذوفان وهما النور والتمسك بالعلم ، والتشبيه مرسل مجمل .

وقوله :

وهل تَمثَّلَ نسجُ العنكبوتِ لهم كالغابِ والحائماتُ الزُّغْبُ كالرَّخَمِ

وجها الشبه هما الكثافة والحجاب في الغاب ، والاستقرار والوقوف في مدخل الغار والتشبيه مرسل مجمل .

وقوله :

فأدبروا ووجوهُ الأَرْض تلعنُهم كباطلٍ من جَلال الحق مُنْهَزِمِ

وجه الشبه الخيبة والخسران ، والتشبيه مرسل مجمل . وقوله :

بدرٌ تطلَّع في بُدرٍ فغُرتُه كغُرةِ النصر تجلو داجي الظُّلَمِ

وجه الشبه الجمال ، والتشبيه مرسل مجمل

وقوله :

مُسَبِّحٌ للقاء الله مضطرمٍ شوقا على سابحٍ كالبرقِ مُضْطرمِ

وجه الشبه السرعة ، والتشبيه مرسل مجمل .

وقوله :

يلوحُ حَوْلَ سنا التوحيد جوهُرها كالحلْي للسيف أو كالوشي للعَلَمِ

وجه الشبه الزينة والبهاء ، والتشبيه مرسل مجمل ، وهو تشبيه للشريعة التي في قوله :

شريعةٌ لك فَجَّرت العقولَ بها عن زاخرٍ بصنوفِ العلم مُلتطمِ

وقوله :

مَنْ في البرية كالفاروقِ مَعْدَلَةً وكابنِ عبد العزيزِ الخاشعِ الحشمِ

وكالإمامِ إذا ما فَضَّ مُزْدَحما بمدمعٍ في مآقي القوم مُزْدَحِمِ

أَو كابن عفانَ والقرآنُ في يده يحنو عليه كما تحنو على الفُطُمِ

أوجه الشبه العدل والعلم والصلاح والتقوى ، والتشبيهات مرسلة مجملة .

ومن التشبيه بالأداة (كأنّ) قوله :

كأنَّ وجهكَ تحتَ النَّقْعِ بدْرُ دُجى يُضيء مُلْتثما أَوْ غيـــرَ مُلْتثـــمِ

وجه الشبه الاشراق ، والتشبيه مرسل مجمل .

ومن التشبيه بالأداة (مثل) قوله :

لا تحفلي بجناهـــا أو جنايتهـــا الموتُ بالزهر مِثْلُ الموتِ بالفَحـــمِ

وجه الشبه هو الحالة ، والتشبيه مرسل مجمل .

ومما جاء بغير أداة قوله :

رِيمٌ على القاع بين البان والعلم أَحلَّ سَفْكَ دمي في الأشهر الحُـرُمِ

وجه الشبه جمال العيون ، والتشبيه مؤكد مجمل .

وقوله :

يا لائمي في هواه والهوى قَدَرٌ لو شَفَّكَ الوجدُ لم تعذِلْ ولم تَلُـــمِ

وجه الشبه المفاجأة التي لا يحسب لها الانسان حسابا فهي كالقـــدر ، والتشبيه مؤكد مجمل .

وقوله :

من الموائسِ بانـــا بالربى وقنـــــا اللاعباتُ بروحـــي السافحاتُ دمـــي

وجها الشبه الليونة واعتدال القِوام ، والتشبيه مؤكد مجمل .

وقوله :

ركضتُها في مَرِيع المعصيات وما أخذتُ من حِمية الطاعـــات للتُخَمِ

وهو تشبيه ضمني ، إذ شبه النفس بالسائمة .

وقوله :

تطغى إِذا مُكنِّتْ من لـــذةٍ وهوى طَغْيَ الجياد إذا عَضَّتْ على اللُّجُـمِ

وجه الشبه العنف والقسوة والهياج ، والتشبيه مؤكد مجمل .

وقوله :

سَرَتْ بشائر بالهادي ومولـِده في الشرقِ والغربِ مَسْرَى النورِ في الظُّلَمِ

وجه الشبه الاشراق ، والتشبيه مؤكد مجمل .

وقوله :

سناؤه وسناه الشمسٌ طالعـــةٌ فالجُرْمُ في فَلَكٍ والضـــوءُ في عَلَـــمِ

وجه الشبه الرقعة والنور ، والتشبيه مؤكد مجمل .

وقوله :

المادحونَ وأربابُ الهوى تَبَعٌ لصاحب البـــردةِ الفيحاءِ ذي القَـــدَمِ

وجه الشبه الاقتداء ببردة البوصيري ، والتشبيه مؤكد مجمل .

وقوله :

مديحه فيك حُبٌّ خالِصٌ وهوى وصادقُ الحب يُملـــي صادقَ الكَلِـــمِ

وجه الشبه الصدق في الحب ، والتشبيه مؤكد مجمل .

وقوله :

البدرُ دونك في حُسْنٍ وفي شَرَفٍ والبحرُ دونك في خيـــر وفي كَـــرَمِ

أوجه التشبيه الحسن والشرف والخير والكرم ، والتشبيه مؤكد مفصل .

وقوله :

والليث دونك بأســـا عند وثبتـــه إذا مشيتَ الى شاكي الســـلاح كَمي

وجه الشبه البأس ، والتشبيه مؤكد مفصل .

وقوله :

والجهلُ موتٌ فإنْ أُوتيت معجزةً فابعثْ من الجهل أو فابعث من الرجمِ

وجه الشبه الفناء ، والتشبيه مؤكد مجمل .

وقوله :

بيضٌ مفاليلُ من فِعْلِ الحروبِ بهم من أُسيف الله لا الهنديـــةِ الخـــذمِ

شبه أصحاب الرسول ــ عليه الصلاة السلام ــ بالسيوف ، ووجه الشبه مضاؤهم وقدرتهم ، والتشبيه مؤكد مجمل .

وتأتي الاستعارة بعد التشبيه في التصوير ، وقد تكون (ريم) و (جُؤذَر) في مطلع القصيدة استعارتين للحبيبة ، وإنْ كان التشبيه البليغ قريبا من ذلك .

ومن الاستعارة قوله :

القاتلاتُ بأجفان بها سَقَمٌ وللمنية أَسبابٌ من السَّقَمِ

الأجفان لا تقتل ، وقد استعارها شوقي ليظهر شدة تأثيرها كالسلاح الفتاك .

واستعار (الصنم) لشدة تأثير الحبيبة التي تأسر الأسد ببنانها :

بَرَعْنَ للبصر السامي ومن عَجَبٍ إذا أَشرنَ أَسَرْنَ الليثَ بالعَنَمِ

واستعار (ذا اللبد) للرجل ، وقد يكون كناية .

يا بنتَ ذي اللبد المحمي جانبه ألقاكِ في الغاب أم ألقاكِ في الأَجَمِ

واستعار (الركض) لاطلاق النفس في طريق غوايتها ، وقد تكون تشبيها ضمنيا :

ركضتُها في مَرِيع المعصياتِ وما أَخذتُ من حِمية الطاعاتِ للتخمِ

وذكر (مكة) للدلالة على أهلها :

هناكَ أَذَّنَ للرحمن فامتلأتْ أَسماعُ مُكةَ من قُدْسيةِ النَّغَمِ

واستعار لبشائر الهادي الخطف ، والخوف والرعب في قلوب المشركين والبغاة :

تخطفتْ مُهَجَ الطاغين من عَرَبٍ وطيرتْ أنفسَ الباغين من عَجَمِ

رِيعتْ لها شُرُفُ الديوان فانصدعتْ من صَدْمة الحق لا من صدمة القُدُمِ

واستعار (الرمم) للقيم المتخلفة التي كانت تسود الناس قبل الرسالة المحمدية :

أَخوكَ عيسى دعا ميتــا فقام لــه وأنتَ أَحييتَ أجيالا من الرِّمَـــمِ

واستعار (العلو) و (الرفعة) لدولة الاسلام :

لما اعتلتْ دولةُ الاسلام واتسعتْ مَشَتْ ممالِكُــه في نورِها التَّمــمِ

واستعار (الهبَّة) للشعوب و (الاستيقاظ) للأمم :

يارِبِّ هَبَّتْ شعوبٌ من منيتها واستيقظتْ أُممٌ مــن رَقْــدة العــدَمِ

وكانت الكناية لونا من ألوان التصوير ، فقد كنى عن الانسان بساكن القاع ، وعن الأسد بساكن الأجم :

رمى القضاءُ بعيني جُؤذَر أَسَدا ياساكنَ القــاعِ أَدْرِكْ ساكنَ الأَجَــمِ

وكنى بلواء الحسن عن نهاية الحسن وروعته :

الحاملاتُ لواءَ الحسن مختلفــا أشكالُه وهـــو فَرْدٌ غيرُ مُنْقَسِـــمِ

وكنى بوضع الخد عن الخضوع والاستسلام :

وضعتُ خدي وقسَّمتُ الفؤادَ ربى يَرْتَعْنَ في كُنُسٍ منــه وفي أَكَـــمِ

وكنى بالمنى عن الحبيبة ، وبالمنايا عن أبيها :

ما كنتُ أعلمُ حتى عَنَّ ساكنــه أَنَّ المنى والمنايا مَضْرِبُ الخيَــمِ

وكنى عن الحبيبة بالغصن والريم ، وعن أبيها بالصمصامة الــذكر ، والضرغامة القرم :

مَنْ أَنبتَ الغصنَ من صَمْصامةٍ ذَكرٍ وأخرجَ الريم من ضِرغامةٍ قــرِمِ

وقد يكون هذا تشبيها بليغا أو استعارة .

وكنى بسمر القنا عن الوصول الى الحبيبة أو الماس بها ، فضلا عن عفته :

بيني وبينكِ من سُحْرِ القنا حُجُبٌ ومثلُها عِفَّــةٌ عذريــةُ العِصَـــمِ

وكنى عن العمل السيء بمسودّة الصحف ، وعن الشيب بمبيضة اللمم :

يا ويلتاه لنفسي راعَهــا وَدَهـــا مسودَّة الصُحفِ في مبيضَّةِ اللِّمَــمِ

وكنى عن النبي ــ عليه الصلاة السلام ــ بمفرج الكرب :

أُلقي رجائي إذا عزّ المجيرُ على مُفَرِّجِ الكَرْبِ في الدارين والغُمَمِ

وكنى عن التواضع بخفض الجناح ، وهو من قوله تعالى : ((واخفِضْ لهما جناحَ الذُّلِ من الرحمةِ)) (الإسراء ٢٤ ، وتنظر سورة الحجر ٨٨ ، والشعراء ٢١٥) .

إذا خَفَضْتُ جناحَ الذُّل أسألُه عِزَّ الشفاعةِ لم أسألْ سوى أمَمِ

وكنى بأمير الأنبياء عن النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

لزِمْتُ بابَ أمير الأنبياءِ ومَنْ يُمْسِك بمفتاح باب الله يغتنمِ

وكنى عن اللغة العربية بالضاد ، وأفصح الناطقين بالضاد هو النبي الكريم ــ عليه الصلاة السلام ــ

يا أفصحَ الناطقينَ الضادَ قاطبةً حديثُك الشَّهْدُ عند الذائقِ الفَهِمِ

وكنى عن البراق بدرية اللجم :

جُبْتَ السماواتِ أو فوقهن بهم على مُنَوَّرةٍ دُريةِ اللُّجُمِ

وأوضح ذلك بقوله :

رَكوبةٍ لك من عِزّ ومن شَرَفٍ لا في الجيادِ ولا في الأُنيقِ الرُّسُمِ

وكنى عن تعليمه ــ عليه الصلاة السلام ــ الناس بالفعل (خططت) ، وكنى عن اطلاع الله له ــ عليه الصلاة السلام ــ على ما أطلعه عليه من العيوب بقراءة اللوح ولمس القلم :

خَطَطْتَ للدين والدنيا علومَهما يا قارئ اللوح بل يا لامِسَ القلمِ

وكنى عما يستقيم به نظام الممالك بالعمدِ :

لولاه لم نَرَ للدُّولاتِ في زَمَنٍ ما طالَ عن عَمَدٍ أو قرَّ من دَعَمِ

وفي قول شوقي :

وما بلاءُ أبي بكر بمتهمٍ بعد الجلائل في الأفعال والخِدَمِ

إشارة الى حروب الردة .

وكنى عن الطهر والنزاهة ببيض الوجوه ، وعن الحمية وشرف النفس بشم الأنوف ، وعن اشتداد الخطب واستفحال الأمر بأنف الحادثات :

بيضُ الوجوهِ ووجْهُ الدهر ذو حَلَكٍ شُمُّ الأنوفِ وأنفُ الحادثاتِ حَمي

(٤)

وازدانت القصيدة ببعض الألوان البديعية ، فقد جانس بين (أفدي) و (فدى) في قول الشاعر :

أَفديك ألفا ولا آلوا الخيالَ فدى أغراك بالبخل مَنْ أغراه بالكَرَمِ

وجانس بين (أَشَرْنَ) و (أَسَرْنَ) :

يَرُعْنَ للبصر السامي ومن عَجَبٍ إذا أَشَرْنَ أَسَرْنَ الليثَ بالعَنَمِ

وجانس وطابق بين (المنى) و (المنايا) :

ما كنتُ أعلم حتى عَنَّ مسكنه أَنَّ المنى والمنايا مَضْرِبُ الخِيَمِ

وجانس بين (آدم) و (أدم) :

يفنى الزمانُ ويبقى من إساءتها جُرْحٌ بآدم يبكي منه في الأَدَمِ

وجانس بين (جناها) و (جنايتها) :

لا تَحفِلي بجناها أو جنايتها الموتُ بالزهرِ مِثْلُ الموْتِ بالفَحَمِ

وجانس بين (سيما) و (يتسم) :

يسامرُ الوحيَ فيها قبل مَهْبِطِهِ ومَنْ يُبَشَّر بسيما الخير يَتَّسِمِ

وجانس بين (التسنيم) و (السنم) :

لما دعا الصَحْبُ يُسْتَسقَونَ من ظمأ فاضَتْ يداه من التسنيم بالسَّنَمِ

وجانس بين (الخَلْق) و (الخُلُق) :

فاقَ البدورَ وفاقَ الأنبياءَ فكم بالخَلْق والخُلْق مِنْ حُسْنٍ ومن عِظَمِ

وجانس بين (البُهم) و (البَلَم) :

والخلقُ يفتك أقواهم بأضعفهم كالليثِ بالبُهْم أو كالحوت بالبَلَمِ

وجانس بين (أعارضه) و (يعارض) و (العارض) :

اللهُ يشهد أنـــي لا أُعارِضـــه مَنْ ذا يُعارِض صَوْبَ العارِضِ العَرِمِ

وجانس بين (مسبح) و (سابح) :

مُسَبِّحٍ للقـــاء اللهِ مُضطـــــرمٍ شوقا على سابحٍ كالبرق مُضْطَـرِمِ

وجانس بين (السلام) و (السلم) :

دارُ الشرائع روما كلما ذُكِرتْ دارُ الســـلام لها أَلقتْ يَدَ السَّلَـــمِ

وجانس بين (الحزم) و (العزم) ، وطابق بين (كهل) و (محتلم) :

بالحزمِ والعزمِ حاط الدينَ في محَنٍ أَضلَّتِ الحِلْـمَ من كَهْـلٍ ومُحتلِـمِ

وطابق بين (منتصت) و (صمم) :

لقد أنلتك أُذنا غيرَ واعيـــــةٍ وربَّ منتصـــتٍ والقلبُ في صَمَـمِ

وطابق بين (أسهرت) و (فنم) :

يا ناعِسَ الطَّرْفِ لا ذُقْتَ الهوى أَبدا أَسْهَرْتَ مُضناكَ في خِفْظِ الهوى فَنَمِ

وطابق بين (مبكية) و (مبتسم) :

يا نفسُ دنياكِ تُخفي كلَّ مُبكيـــةٍ وإِنْ بـــدالكِ منهـــا حُسْن مُبْتَسَـــمِ

وطابق بين (نائم) و (ساهرة) :

كم نائمٍ لا يراها وهي ساهـــرةٌ لولا الأمانـــيُّ والأَحـــلامُ لم يَنَـــمِ

وطابق بين (نعمى) و (البؤس) :

طورا تمدك في نعمى وعافيـــةٍ وتارةً في قـــرار البؤسِ والوصَـــمِ

وطابق بين (خيرها) و (شرها) :

والنفسُ من خيرها في خيرِ عافيةٍ والنقسُ من شرِها في مرتعٍ وَخِـــمِ

وطابق بين (أَصل) و (فرع) :

نموا اليه فزادوا في الورى شَرَفا ورُبَّ أصلٍ لفرعٍ في الفخـــار نُمي

وطابق بين (جيئة) و (ذهاب) :

كم جِيئةٍ وذَهــابٍ شُرِّفَتْ بهمــا بطحاءُ مكةَ في الإصبــاحِ والغَسَــمِ

وطابق بين (السهل) و (العلم) ــ أي الجبل :

فلا تَسَلْ عن قريسٍ كيف حَيْرتُها وكيف نُفْرتهـــا في السَّهْلِ والعَلَــمِ

وطابق بين (المشايخ) و (الولدان) :

تساءلوا عن عظيم قــد ألمَّ بهــم رَمَى المشايخَ والوِلْـــدانَ باللَّمَـــمِ

وطابق بين (جدد) و (العتق) و (القدم) :

آياته كلما طالَ المــدى جُـــدُدٌ يَزينهنَّ جـــلالُ العِتْــقِ والقـــدَمِ

وطابق بين (منتشر) و منتظم) :

حَلَيْتَ من عَطَلٍ جيدَ البيانِ به في كلِّ مُنْتَثِرٍ في حُسْــنِ مُنْتَظـــمِ

وطابق بين (النور) و (الظلم) و (الشرق) و (الغرب) :

سَرَتْ بشائرُ بالهادي ومولــدِه في الشرقِ والغرب مَسْرَى النورِ في الظُّلَمِ

وطابق بين (عرب) و (عجم) :

تَخَطَّفتْ مُهَجَ الطاغينَ من عَرَبٍ وَطَيَّرتْ أَنفسَ الباغيــنَ من عَجَــمِ

وطابق بين (الباطل) و (الحق) :

فادبروا ووجوهُ الأرض تلعنهــم كباطلٍ من جَلال الحــقِ مُنْهَـــزِمِ

وطابق بين (لا) و (نعم) :

إنْ قلْتَ في الأمر لا أو قلْتَ فيه نَعَمٍ فَخِيرةُ الله في لا منـــكَ أَو نَعَـــمِ

وطابق بين (الغر) و (الدهر) :

تلك الشواهدُ تترى كلَّ آونـــةٍ في الأَعْصُرِ الغُر لا في الأَعصر الدُّهُمِ

وطابق بين (العدل) و البغي) :

لا يهدمُ اللهُ ركنا شــادَ عَدْلُهُـــمُ وحائطُ البغـــي إنْ تَلْمَسْهُ يَنْهَـــدِمِ

وطابق بين (الشرق) و (الغرب) :

كم شَيَّدَ المخلصونَ العاملونَ بها في الشرق والغرب مُلْكا باذِخَ العِظَمِ

وطابق بين (سعد) و (نحس) وبين (نعم) و نقم) :

سَعْدٌ ونحسٌ ومُلْكٌ أنت مالكُـــه تُديلُ من نِعَمٍ فيـــه ومن نِقَـــمِ

وطابق بين (بدء) و (مختتم) :

يا ربِّ أَحْسَنْتَ بَدْءَ المسلمينَ به مُتمم الفضلَ وامنح حُسْنَ مُختتَـــمِ

ولم يصرع في القصيدة على الرغم من طولها وتشكيلها لوحات ، أما ما ورد في الأبيات :

على لوائكَ منهم كُلُّ مُنْتَقِـمٍ لله مُسْتَقْتِـــلٍ في الله مُعتَـــزِمِ

مُسَبِّحٍ للقـــاء الله مُضْطَـــرِمٍ شَوْقا على سابحٍ كالبرق مُضْطَرِمِ

ما ضارعتها بيانا عند ملتئم ولا حكتها قضـــاءَ عند مختصـــمِ

فليس بتصريع ؛ لأن نهاية الأشطر الأولى منونة لترتبط بالأشطر الثانية .

(٥)

هذه أهم ملامح قصيدة ((نهج البردة)) التي كانت معارضةً لقصيدة ((البردة)) للبوصيري ، وهي معارضة لم تفقد الشاعر وثباته الشعرية ، بل تَفوَّقَ في بعض أبيات القصيدة على البوصيري . وهذا ما يقال عن معارضاته الأخرى ، وقد أنصفه الباحثون ، فقال الدكتور شوقي ضيف : ((فمعارضات شوقي لم تَجْنِ عليه ، ولم تَرْمِه بعيدا عن إحراز قَصَبِ السبَّقِ ، بـــل علـــى العكس كان يذهب صُعُدا فيها ، وقلما أسفَّ أو أكْدَى)) .[١٦]

وقال محمد الهادي الطرابلسي : ((أحيا شوقي سُنَّةَ المعارضة فـــي عهد النهضة بوقوفه النِّد للند مع كثير من كبار شعراء العربيـــة القـــدامى ، مقتفيا أثرهم في نظم مجموعة من القصائد تتفق مع بعض قصائدهم المشهورة

---

[١٦] شوقي شاعر العصر الحديث ص٧٨ .

في البحور والقوافي ، ولا تتفق معها كثيرا في المواضيع والأساليب))[١٧] .
وقال : ((فاذا صرفنا النظر عن الأغراض العامة لاحظنا أنَّ قصائد شوقي لا تتفق إلا في بعض المواضيع مع معارضاتها))[١٨] ، ومن المواضيع التي اتفقت فيها ((نهج البردة)) بالبردة الإسراء والمقارنة بين الاسلام والمسيحية[١٩] وقال إنَّ أحمد بندر أن يستعمل ((العبارة الجاهزة التي تحدث تغييرا عميقا في البيت))[٢٠]. وذكر أنَّ ما اشترك فيه البوصيري وشوقي هو مصدر الالهام في البردة ونهجها .[٢١]

لقد أجاد شوقي في ((نهج البردة)) ولا تَعْني معارضته البوصيري أنَّه لم يحلق ، وأنه لم يبلغ ما بلغه البوصيري ، على الرغم مما في البردة ونهجها من تشابه في الأحداث والقوافي ، وليس هذا مستغربا لأن الشاعرين ينهلان من كتب السيرة والتأريخ وهو ما لا يختص به شاعر دون شاعر إلا بالقدرة على الانتفاع من المادة التأريخية ، والتعبير عنها بأُسلوب يتميز عن أُسلوَب غيره .

---

[١٧] خصائص الأسلوب في الشوقيات ص٢٤٠ .

[١٨] المصدر نفسه ص٢٤٣ .

[١٩] المصدر نفسه ص٢٤٣ (تنظر فيها أبيات البوصيري وأبيات شوقي في موضوع الإسراء) .

[٢٠] المصدر نفسه ٢٥٢ ، وتنظر ص ٢٥٥ .

[٢١] ينظر المصدر نفسه ص٢٤٢ .

المصـــــادر :

١ ــ بحـــوث بلاغيـــــة ــ الدكتـــور احمـد مطلـوب ــ بغـــداد ١٤١٧ هـــ ــ ١٩٩٦م .

٢ــ خصائص الأسلوب في الشـوقيات ــ محمـد الهـادي الطرابلســي ــ تونس ١٩٨١م .

٣ ــ الشوقيات ــ احمد شوقي ــ القاهرة .

٤ ــ الشوقيات المجهولة ــ الدكتور محمد صبري ــ القاهرة الجـزء الاول سنة ١٣٨١هـــ ١٩٦١م ، الجزء الثاني سنة ١٣٨١هـــ ــ ١٩٦٢م .

٥ ــ شوقي شاعر العصر الحديث ــ الدكتور شوقي ضيف ــ الطبعة الثالثة ــ دار المعارف ــ القاهرة .

٦ ــ منـــاهج بلاغيـــة ــ الـــدكتور احمـــد مطلـــوب ــ بيـــروت ١٣٩٣هـــ ــ ١٩٧٣م .

٧ ــ الموازنة بين الشعراء ــ الدكتور زكي مبارك ــ القاهرة ١٩٦٨م .

٨ ــ موسيقى الشعر ــ الـدكتور ابـراهيم أنـيس ــ الطبعـة الثانيـة ــ القاهرة ١٩٥٢م .